ريتشارد قلب الأسد ومشروع غزو مصر
١١٨٩ ـ ١٩٩ م / ٥٨٥ ـ ٥٩٥ هـ

دكتور
مصطفى حسن محمد الكنانى

لا غرو أن موضوع بحثنا هذا ، يعد من الموضوعات الوثائقية الهامة ، اذ أنه يلقى المزيد من الأضواء على حقيقة الأهداف الصليبية الاستيطانية ، الرامية الى الهيمنة على الأمة الاسلامية وكثلكتها تحت زعامة البابوية فحسب ، بل انه يفضح مدى عمق جذور الكراهية التى كان ـ ولازال ـ يكنها بابوات وملوك وشعوب أوربا الغربية تجاه مسلمى المشرق والمغرب بعامة ، وشعب الكنانة بخاصة ، ولعل ذلك يفسر تعدد المشروعات والمحاولات والحملات التى خططت لتنفيذها ، وتلك التى نفذت بالفعل أو التى على وشك التنفيذ ضد مصر ، ليس على امتداد العصور الوسطى فقط ، بل وحتى لحظتنا هذه كذلك (١) .

فالثابت أنه عقب سقوط بيت المقدس بأيدى صليبى الحملة الأولى (١٥ يوليو ١٠٩٩ م / ٢٣ شعبان ٤٩٢ هـ) ، قرر جود فرى دى بويون التنازل عنها للبطريرك دايمبرت ، اذا نجح فى احتلال مصر وحكمها بنفسه . وشرع وخطط لاحتلالها ، لكن موته وأد المشروع (١١٠٠ م) (٢) ، وبتولية أخيه بلدوين الملك (١١٠٠ ـ ١١١٨م) ، غزاها بالفعل مع الجنوية ، الا أن موته المفاجئ أثناء زحفه (٢٠ أبريل ١١١٨ م) ، أفشل الحملة (٣) .

ومنذ ذلك الحين فصاعدا ، وضع القادة الصليبيون فى حسبانهم حتمية احتلال مصر إن عاجلا أو آجلا . وبدأت الحملات تترى عليها ، ودليل ذلك محاولات عمورى الأول ملك بيت المقدس (١١٦٣ ـ ١١٧٤م)

لغزوها ، إذ هاجمها عدة مرات بتعضيد جنوى بيزنطى ، بحجة تأمين حكم الفواطم ، ومساعدة الوزراء الفاطميين (شاور وضرغام ، ومؤتمن الخلافة جوهر) ضد أطماع صلاح الدين!! ولقد شاءت ارادة اللّه أن ينجح الأخير فى هزيمة الغزاة فى البر والبحر ، بفضل تعضيد المصريين ، ومساعدات نور الدين محمود له . وكانت المحصلة أن هيمن صلاح الدين على البلاد ، بعد تخلصه من الوزراء المذكورين عاليه ، وموت العاضد من بعدهم (١١٧١ م / ٥٦٧ هـ) ، واضعا بذلك نواة الدولة الأيوبية ، التى رفعت راية الوحدة الاسلامية والجهاد المقدس ضد الصليبيين فى ظلال الكتاب والسنة ، لتحرير القدس وطردهم من الشام (٤) .

ومهما كانت تطورات الأحداث ، وعقب توحيده قوى مصر والشام ، إثر وفاة نور الدين محمود (١١٧٤ م / ٥٦٩ هـ) من جهة ، وعقب النصر الساحق الذى حققه المسلمون بقيادته فى حطين (السبت ٤ يوليو ١١٨٧ م / ٢٥ ربيع الآخر ٥٨٣ هـ) من جهة أخرى . انطلق صلاح الدين بقواته ونجح فى تحرير غالبية المدن والقلاع الشامية ، وعرّج على القدس ، فدخلها بالأمان (الجمعة ٢ أكتوبر ١١٨٧ م / ٢٧ رجب ٥٨٣ ه) ، ولم يتبق للصليبيين سوى أنطاكية وطرابلس وصور (٦) . ولقد جُنَّ الصليبيون ، وشعروا بخطورة الموقف ، ورأوا ألا مناص من الاستنجاد بالغرب لإرسال حملة جديدة يستعيدون بها ما فقدوه . وهنا ، وحفاظا على مصالحهم التجارية ، وضمانا لمقدم الحملة المرتقبة ، روّج الجنوية صورة رجل عربى يضرب آخر ، وادعوا زورا أنه محمد صلى اللّه عليه وسلم ، يضرب المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام وقد أدماه ، ولا حول ولا قوة الا باللّه (٧) !! .

وجدير بالذكر أن البابا أوربان الثالث (١١٨٥ - ١١٨٧م)، عقب سماعه أخبار حطين وما تلاها من أحداث ، مات كمدا ، وخلفه جريجورى الثامن ، الذى مات فى نفس العام (١١٨٧ م) ، تاركا أمر

إعداد الحملة المرتقبة لخليفته كلمينت الثالث (١١٨٧ - ١١٩١م) ، الذى دعا لعقد مؤتمر ماجونتسا Magonza وقد حضره مندوبو كل من : الامبراطور الالمانى ، وملكى انجلترا وفرنسا ، وكونرادى مونتفـــرات فضلا عن مندوبى الجنوية : روفو ديللافولتا Roffo Dalla Volta وأنسالدو بوفاريو Ansaldo Eufferio وهنرى ديتسالفى Enrico Deitesalvi ولقد أعلن الثلاثة استعداد جنوة لاعداد كافة متطلبـات الحملة من سفن ومقاتلة وميرة (٨) .

وتؤكد المصادر سرعة ردود فعل المؤتمر ، اذ خرج الامبراطـــور الالمانى بحملة (أبريل ١١٨٩ م / ربيع آخر ٥٨٥ هـ) ، انتهـــت بالفشل ، لموته غريقا فى نهر سالف (الحديد) بآسيا الصغرى (٩) . وبالمثل كثف الجنوية تحركاتهم ، واستعداداتهم ، فأرسلوا عمـــارة بحرية كبيرة للذّب عن صور (١٠) ، كما بعثوا سفارة التقت بكل مـــن ملك انجلترا هنرى الثانى (١١٧٠ - ١١٨٩ م) ، وفيليب أغسطـــس ملك فرنسا ، لدعوتهما لحمل الصلبان . ولقد وافق الثانى ، بينما تحفظ الأول حتى تتاح الفرصة المناسبة (١١) .

وفى عام ١١٨٩م ، وعقب وفاة هنرى وتولية ريتشارد قلـــب الأسد الحكم ، أرسل الجنوية مبعوثيهم : هنرى ديتسالفى ، وأنسالـــدو بوفاريو ، لتحديد دعوة الملكين الفرنسى والانجليزى للاسهام فى الحملة . فوافقا ، وتعهدا باللقاء فى جنوة ، لتصفية خلافاتهما " حرصا عـــلى صالح العقيدة ، واستعادة للضريح المقدس من الملاحدة " (١٢) ، ولقد تم ذلك بالفعل ، اذ أفادت المصادر قدوم فيليب الى جنوة (٦ أغسطس ١١٩٠ م) وعقده اتفاقية تحالف معها ، تعهد فيها الجنوية بمساعدته مقابل حصولهم على ثلث كل ما سيستولى عليه من المسلمين ، فضلا عـن عدة امتيازات تجارية خاصة (١٣) .

وبعد أسبوع من وصول فيليب ، وصل ريتشارد ، الى مينـــــاء

بورتو فينو الصغير شرقى جنوة (١٣ أغسطس) ، ولقد التقى بفيليب بفضل جهود الجنوية ، وتصالحا وتعاهدا على الاسهام فى الحملة ! . وبعدها مباشرة ، أبحر الأخير فى طريقه الى الشام عبر صقلية (٢٤ أغسطس ١١٩٠م) ، مصطحبا معه قوة بحرية جنوية ضخمة تنفيذا للاتفاق السابق ذكره (١٤) ، تلك مقدمة حتمية من أجل تحديد ملامح إطار مسرح الأحداث العام ، ولتفهم حقيقة الأشخاص ، والقوى التى مهدت لاتفاق ريتشارد والجنوية على غزو مصر ، وظروف عقده ونتائجه القريبة والبعيدة ، وهذا ماسنوضحه بالتفصيل على امتداد الصفحات التالية بعون اللّه (١٥) .

أيا كان الأمر ، وعقب مغادرة فيليب جنوة كما أسلفنا ، عقد القومون مع ريتشارد اتفاقية مماثلة للمعقودة مع فيليب ، تعهد فيها بمساعدته فى حملته على الشام ، نظير حصوله على ثلث كل ماسيستولى عليه من المسلمين ، غادر بعدها ريتشارد جنوة (أواخر أغسطس ١١٩٠م) مصطحبا معه عمارة بحرية جنوية فى طريقه الى الشام ، وقد اتخذ شعار القديس جورج St. George الجنوى رمزا لبيرقه وعلمه ، تعبيرا عن حبه واحترامه للجنوية (١٦) . هذا ، وبوصوله مسينا فى صقلية ، اشتبكت قواته مع مثيلتها الفرنسية ، فسارع فيليب بالابحار مباشرة الى الشام ، تحاشيا لاتساع هوة القتال بين الجانبين. وبوصوله عكا (٢٠ أبريل ١١٩١ م / ٢٣ ربيع الثانى ٥٨٧ هـ) ، ساهم مع القوات الصليبية الجنوية فى حصارها (١٧) .

وهنا ، لابد من التوقف لحظة للتعرف على مسار الأحداث فى مسينا عقب رحيل فيليب . فالثابت أن ريتشارد قد وصلته عدة رسائل من البابوية وكل من نائبه فى انجلترا وليام أسقف Ely ، ووالتر Walter رئيس أساقفه رون Roun وقد أرسل ردوده العاجلة عليها (١٨) . وجدير بالذكر أن تلك الرسائل رغم صمت المصادر عن ذكر محتواها ، الا أنها كانت ذات أهمية بالغة ، وتتصل اتصالا

مباشرا بمشروع الحملة المرتقب قيام ريتشارد بها ضد مصر . وآية ذلك الرأى ، أن ريتشارد بعد وصولها ، سارع بالرد عليها من جهة ، ومن جهة ثانية ، أرسل سفيرا من لدنه الى القومون الجنوى ، يطالبه ويرجوه سرعة إرسال مبعوث على مستوى عال للاتفاق معه بشأن تنفيذ خطة مشروع " يكتمه فى صدره " ، سوف " يطوى سجل الحرب فى الأراضى المقدسة الى الأبد " ، وفيه الخير " للضريح المقدس وللجنوية وله هو شخصيا ولشعبه " كذلك . وتؤكد نفس المصادر أنه رغم حيرة القومون من غموض المشروع الا أنه قد أرسل القنصل مورينو رودوانو Morino Rodoano ، ومنحه حق التفاوض والاتفاق مع ريتشارد نيابة عن جنوة طالما كان الأمر فيه صالحها (١٩) .

وبوصول المبعوث الجنوى الى مسينا ، أخبر ريتشارد تحيات القومون ، واحترامه كافة ما اتفق عليه ، بشأن حملة الشام . وأضاف أن القومون تقديرا منه لدور ريتشارد فى " خدمة الضريح المقدس وتعبيرا عن وفائه ، وتقديرا لظروف ريتشارد (المالية بالطبع) ، قد أعفاه من نصف تكاليف الحملة " ، وطالبه بالثقة الكاملة فى وفاء الجنوية والتزامهم بالمواثيق (٢٠) .

ولقد سُرَّ ريتشارد أيَّما سرور ، وأكد ثقته الكاملة فى القومون ومبعوثيه وربت على كتف مورينو ، وأخبره أنه استدعاه ، من أجل البوح له برغبته فى غزو مصر بمشاركة الجنوية ، لانهاء فصول الحروب فى الأراضى المقدسة نهائيا ، وأخبره أن أيَّة اتفاقية ستعقد معهم ، سيعتبرها " اتفاقية نزيهة ، وليست لصالح طرف على حساب الآخر "، ورجاه الموافقة " لفك أسر الضريح المقدس " وحمَّله رسالة من نسخة واحدة تتضمن بنود اتفاق تنفيذ مشروع غزو مصر حسب تصوره ، ومنحه حق تعديل وإضافة مايراه صالحا . وهنا ، أعلن مورينو موافقته على مطالبه ، وشكره على ثقته المطلقة فى شخصه ، وتعهد نيابة عن القومون بإعداد كافة مستلزمات الحملة ، والالتزام بالاتفاق ، واقسم

على ذلك وحمل رسالة ريتشارد معه ، ثم أبحر عائدا الى جنوة ، لإعداد الحملة ، على أن يبحر بها هو نفسه الى عكا ، تمهيدا للإنضمام الى ريتشارد ، ثم الانطلاق منها لغزو مصر ، حسبما اتفق الجانبان (٢١) .

وبالقاء نظرة فاحصة على بنود الاتفاقية ، والتى حصلنا على تفصيلاتها من الوثيقة الوحيدة ، والمتمثلة فى رسالة ريتشارد المنشورة فى الملحق المرفق بالبحث . نلحظ أنها تؤكد إلمام ريتشارد بأهمية ثقل مصر السياسى والعسكرى بعامة ، والاقتصاد بخاصة . فضلا عن كونها مفتاح وخط دفاع الأراضى المقدسة والأمة الإسلامية الأول والأخير . وإذا علمنا أن ريتشارد كان يعانى من نضوب موارده المالية الذى بلغ حدا من الخطورة لدرجة قوله " اننى مستعد لبيع لندن ، إذا وجدت المشترى " من جانب ، وباضافة مقولة أخرى ذكرها بنفسه مفادها إن اهتماماته بانجلترا موردها الوحيد " إنها مصدر للدخل فقط ! ! " من جانب ثان ، وإذا علمنا أنه كان طموحا ، ومعجبا بتطلعات أبيه وسياسته التوسعية ، ومقولته المشهورة " إن العالم لابد أن يحكمه رجل واحد قوى One strongman might rule the World "(٢١) من جانب ثالث ، ناهيك عن ايمانه القوى بعظم ثروة مصر وأهميتها التجارية من جانب رابع ، لوجدنا من المبررات الكافية ما يدفعه هو وأمثاله لغزو مصر ، أملا فى السيطرة عليها واستغلال ثرواتها وخيراتها المتدفقة كمصدر مالى لا ينضب من جهة ، واشباعا لرغبته النفسية فى التوسع وجبّ عدوه اللدود فيليب فى المكانة والشهرة من جهة ثانية ، وكسبا لرضاء البابوية وتأييدها له ، وضمانا للخلود فى الآخرة من جهة ثالثة (٢٣) .

وفوق هذا كله ، ولرغبته فى كسب الجنوية الى جانبه ، وبما عرفه عنهم من اهتمامات مادية ، وهى لديهم اسمى من أى اعتبار آخر - من منطلق ايمانهم القوى بجنويتهم أولا وآخرا ! ! - كان اختياره لهم ، خاصة وأنهم كانوا القوة الضاربة التى لاغنى للصليبيين عنها

ألبتة ، ولعل ذلك يفسر التزامه بدفع كافة تكاليف حملة مصر المرتقبة هذه للجنوية رغم سوء أحواله المالية ! . ولاشك أن موقفه هذا ، كان مرده ثقته فى امكانية غزو مصر ، والسيطرة عليها بمساعدة الجنوية ، مما يعنى ضمانه موردا لا ينضب من السيولة النقدية الذهبية ، ومن ثم سيكون لديه فائض مادى ، يسهل عليه الوفاء بالتزاماته المادية للجنوية بشأن تكلفة الحملة . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى،وتشجيعا لهم على الالتزام بمساعدته ، تعهد بمنحهم ثلث كل ماسيستولى عليه فى مصر بعامة ، وفى مدينتى " الاسكندرية والقاهرة " بخاصة ،واللتين ذكرهما عن عمد كما يبدو ، ليلوح لهم بأهميتها فى مجال التجارة الشرقية العالمية النفيسة ، وليبشرهم بالخير الوفير الذى سيغمرهم من جراء تحكمهم فى تجارتهما (٢٤) .

وبالقاء نظرة أخيرة على البنود ، نلحظ أن ريتشارد بكياسته وفطنته ، قد قام بمبادرة فريدة من نوعها ، وأعنى أنه على غير العادة المتبعة فى عقد الاتفاقيات بين الدول ، لم يرسل مبعوثا انجليزيا خاصا من لدنه ، للاتفاق النهائى مع جنوة على غزو مصر ، بل كلف المبعوث الجنوى مورينو نفسه بتمثيله فى هذا الشأن . وكلفه بتعديل واضافة البنود التى تتراءى له نيابة عنه ! ! وأكد ذلك فى رسالته الرسمية الى القومسون ، إذ قال : " .. وفيما يختص بنا ، فإن كل ما سوف يقترحه (مورينو) أو ينجزه من أفعال أو أعمال ، سنعتبرها سارية المفعول ، وسنصدّق عليها ، كما لو كنا قد قلناها أو أنجزناها بأنفسنا " ، واختتمها قائلا : " ... ومن جانبكم أبلغونا فى عكا ، وبلا تأخير عن طريق مورينو نفسه ، ماذا سوف تتخذونه من اجراءات تنفيذية فى هذا الصدد من جهة ، مع ابلاغنا باعداد الشوانى والرجال ، الذين سوف ترسلونهم الى الجيش الصليبى (المصاحب لنا) من جهة أخرى (٢٥) .

وهنا ثمة سؤال يتراءى أمامنا ، طمعا فى إجابة شافية ،

ألا وهو : ما موقف كل من البابوية وفيليب أغسطس من تلك الاتفاقية ؟ وهل كانا على علم مسبق بها ؟

قبيل الإجابة ينبغى الإشارة الى أن البابوية كانت لها اليد الطولى مع الجنوية فى الدعوة للحملة الصليبية الثالثة وعقد مؤتمر ماجونتسا ، فضلا عن دورهم فى التقريب بين ريتشارد وفيليب وعقد الصلح بينهما فى جنوة كما أسلفنا . وتؤكد الشواهد التاريخية أن الأول كان التردد يتملكه ، رغم موافقته على الاسهام فى الحملة ، خوفا من أطماع أخيه حنا John فى العرش من جانب ، وأطماع فيليب فى نورماندیا وأقطانيا وأنجوا من جانب ثان . فكن تردده سرعان مازال عقب تدخل البابوية والجنوية ومصالحتهما معا فى جنوة كما أشرنا آنفا ، ناهيك عن نجاحه بمساعدة مستشاره الأسقف وليام - الذى أنابه ريتشارد فى ادارة أمور انجلترا وسكوتلانده أثناء تواجده فى الشرق- فى أخذه تعهدا " على حنا ، وأخيه غير الشرعى جودفرى بعدم دخولهما انجلترا أثناء غيابه فى الخارج (٢٦) ، مما أثلج صدره ، وأهّله للخروج بالحملة .

والثابت أن موضوع الحملة قد طرح على ريتشارد من قبل البابوية ، عن طريق مستشاره الأسقف وليام المذكور عاليه ، ويرجح أن ريتشارد قد وافق شريطة تأمين عرشه من الأخطار الداخلية والخارجية المحدقة بها ، أو بالأحرى حمايته من أطماع أخيه حنا وطموحات فيليب التوسعية على حساب أملاكه فى فرنسا كما أسلفنا ، مع تأكيده على حتمية كتم سرها عن الجميع بعامة ، وفيليب أغسطس بخاصة ، ولقد وافقته البابوية على ذلك كله . ولعلنا نجد تعضيدا لهذا الرأى فى صمت كافة المصادر اللاتينية - والإنجليزية على رأسها - عن الإشارة الى مشروع الحملة المرتقبة من قريب أو بعيد ، فضلا عن جهلها التام بالرسالة التى أرسلها ريتشارد مع مورينو الى جنوة ،وهى الوثيقة الرئيسية الوحيدة ، التى تضمنت بنود الاتفاق الخاص بالحملة ،

ناهيك عن عدم إلمامها كلية بزيارته جنوة كما أسلفنا . ولا شك أن إشارة المصادر الجنوية وحدها الى الزيارة ، مردّه اطّلاع صاحب الرواية الأولى ، على الوثائق الرسمية الخاصة بالزيارة والإعداد لها ، فضلا عن كونه شاهد عيان ومعاصر لأحداثها ، وله مكانته المرموقة لدى القومون ، وعنه نقلت المصادر الجنوية الخبر ، وتفردت به معه من بعده دون غيرها من المصادر اللاتينية (٢٧) .

ولا شك أن هذا التفرد يُعزى الى السرية المطلقة التى اشترطها ريتشارد مقابل موافقته على قيادة الحملة كما أسلفنا ، فضلا عن عدم وجود نسخة ثانية للرسالة الوثائقية الفريدة لدى ريتشارد ، الذى كتبها من نسخة واحدة أرسلها الى القومون مع مورينو كما أشرنا ، كما أنه لم يخبر أيا من المحيطين به بمضمونها ، وأحاطها بالسرية التامة ، ولعل عدم إرساله مندوبا من رجاله المقربين اليه بالرسالة ، وتفضيله مورينو نفسه ، يعضد هذا الرأى ويؤكده .

هذا ، وتؤكد الأحداث التاريخية عدم عرض ريتشارد مشروع غزو مصر على الجنوية أثناء تواجده فى جنوة ، خشية تسربه الى فيليب بطريقة ما ، وكتمه فى صدره الى حين وصوله مسينا . وهناك ، وبناء على الرسائل المتبادلة فيما بينه وبين البابوية والكنيسة أرسل رسالته المشهورة الى القومون الجنوى ، التى أدت الى مقدم مورينو ولقائه التاريخى السرى معه واتفاقهما على القيام بتنفيذ المشروع معا وغزو مصر ، كما ذكرنا من قبل (٢٨) .

وصفوة القول ، وعلى ضوء ماسبق ، يمكننا الحزم بالمام البابوية بألف باء مشروع غزو مصر المرتقب ، وتخطيطها منذ البداية وضغطها على ريتشارد لقيادتها ، فضلا عن كتمها أسرارها عن فيليب وغيره من القوى الصليبية الأخرى ، احتراما لرغبة ريتشارد ، وتقديرا لظروف بلاده ، ودرءا للأخطار المحدقة بها كما أوضحنا آنفا .

هذا ومن جانب آخر نقول - بلا تحفظ - بجهل فيليب بالمشروع ، ولقد ظل على حالته تلك حتى اكتشفه مصادفة عقب سقوط عكا بطريقة أو بأخرى ، يؤكد هذا الرأى ، ماذكرته المصادر بشأن الغضب الذى تملكه عقب سقوط عكا ، وإسراعه دون سبب ظاهر وبلا سابق إنذار بالانسحاب عائدا" الى بلاده ، متذرعا بحجة المرض! . وعقب وصوله فرنسا ، قام من فوره باكتساح أملاك ريتشارد فى نورماندیا وغيرها ، فضلا عن إذكائه نيران أحقاد حنا تجاه أخيه ريتشارد ، وتشجيعه على عزله والانفراد بالحكم ، وعقده اتفاقا معه على تعضيده فى هذا الشأن ، منتهزا فرصة غياب ريتشارد فى الشرق(٢٩) . ولعله كان موقنا تماما" أن مدة غيابه ستطول ، ولربما لايعود مطلقا ، وتفشل حملته على مصر كمثيلاتها من الحملات والمحاولات السابقة .هذا ، ولقد ترتبت على تصرفات فيليب هذه نتائج هامة ، ستكون لها آثارها الوخيمة على مسار أحداث ونتائج الحملة موضوع البحث ، كما سنوضحه بالتفصيل فى حينه .

مهما يكن من أمر ، وعقب اتفاق ريتشارد ومورينو فى مسينا على الاسهام معا فى غزو مصر كما أسلفنا ، نظم الأول قواته ،استعدادا للابحار الى الشام . ودون دخول فى التفصيلات ، وعقب وصوله عكا (٨ يونيو ١١٩١م / ٣ جمادى الأولى ٥٨٧ ه) شارك فى حصارها(٣٠) . وهنا ، ونتيجة لطول فترة الحصار ، وندرة الأقوات ، وتناقص الذخيرة استسلمت المدينة مقابل الأمان . وكالعادة ، نكث الغزاة عهدهم ، وأسروا الحامية والسكان بالآلاف (٣١) ، وسارع الجنوية باحتلال الأحياء التجارية . فغضب البيازنة وتقاتل الجانبان ، ولولا تدخل ريتشارد ، وفضه الاشتباك لحدث مالا يحمد عقباه . وفجأة ، ودون سابق انذار ، ولأسباب فى نفسه ، سحب فيليب جيوشه - باستثناء قوة رمزية صغيرة - وأبحر عائدا الى بلاده ، بحجة المرض !! (٣٢) . بيد أن الأسباب الحقيقية تعزى الى المامه بحقيقة اتفاق مورينو - ريتشارد

السرى الخاص بغزو مصر ، والذى كتمه عنه الجميع ، مما أشعره بعدم ثقتهم فيه ، وأغضبه وزاد من حدة غضبه ، اسهام البابوية فى كتم سره عنه فكان أن غادر عكا ثائرا ، وقد أضمر فى نفسه حتمية رد الصاع صاعين ، ولعل ذلك يفسر مهاجمته أملاك ريتشارد فى فرنسا ، والاتفاق مع حنا ، ومساعدته على عزل ريتشارد وحكم البلاد كما أشرنا من قبل (٣٣).

على أية حال ، وعقب إبحار فيليب ، وبما عرف عنه من ميول عدوانية وسفك للدماء ، وتمكينا للجنوية من تجارة عكا وحدهم ، وارضاء لرغبة المندوب البابوى المصاحب له ، ولبث الرعب فى قلوب المسلمين ، أمر ريتشارد بذبح أسارى عكا الثلاثة آلاف ، وقد تم ذلك بالفعل (٣٤) . وبعدها هاجم السفاحون واحتلوا كل من حيفا وقيسارية (أواخر أغسطس ، وأوائل سبتمبر ١٩٩١م / أوائل شعبان ٥٨٧ هـ) ، وأرسوف (١٧ سبتمبر ١٩٩١م / ٢٤ شعبان ٥٨٧ هـ) ، منتهزين فرصة الرعب الذى ساد مسلمى تلك المدن ، عقب سماعهم أخبار مذبحة عكا بالطبع (٣٥) . ثم عرّجوا على يافا وعسقلان فاحتلوا الأولى ، وصمدت الثانية ، وقد دمرها صلاح الدين حتى لا يستفيد منها الصليبيون (٣٦) .

ولقد أفادت المصادر رغبة ريتشارد فى استغلال الفزع الذى ساد المعسكر الاسلامى عقب انتصاراته السابقة بعامة ، ومحاولته احتلال عسقلان بخاصة ، إذ أن سقوطها يعنى انهيار خط دفاع حدود مصر الشرقية ، ومما يسهل الطريق أمام الغزاة للزحف نحو القاهرة ، ولعل ذلك يفسر تدمير صلاح الدين لها كما ذكرنا عاليه ، ولاشك أن ذلك كان هدف ريتشارد الحقيقى من مهاجمتها ، اذ أنه عقب فشله فى احتلالها تمركز فى يافا ، وطالب الصليبيين بالزحف نحو القاهرة جنوبا . لكنهم رفضوا وطالبوه بالتوجه نحو بيت المقدس هدفهم الأساسى ، فعارضهم بحجة " نزع أنياب الأفعى ورأسها أولا " ، ويعنى مصر بالطبع (٣٧) . وجدير بالذكر أن المؤرخ ابن شداد قد ساق

عبارة تتفق والمصادر اللاتينية فى هذا الشأن ، إذ أفاد أن صلاح الدين عقب سماعه خبر نزول ريتشارد الرملة ، حشد جيوشه ، واستعد لمواجهته ، ووأد خطته الرامية الى غزو مصر ، حسبما ذكرت تقارير جواسيسه الثقات ، والتى أفادت معارضته مطالب القادة "الفرنسية" بالزحف نحو القدس ، إذ قالوا له : " انما جئنا من بلادنا بسبب القدس ، ولا نرجع دونه " ، فرفض ريتشارد ، وبمكره المعهود قال لهم : " إن هذا الموضع قد أفسدت مياهه ، ولم يبق حوله ماء أصلا ، فمن أين نشرب ؟ " (٣٨) . وقد أفاد نفس المصدر أن ريتشارد قد أُخذ برأيه ، وعدل الصليبيون عن مهاجمة القدس ، وفرح المسلمون ، " لكن السلطان - قدس الله روحه - خاف على مصر المحروسة ، لما حصلوا عليه من الجمال والظهر (كل ما يركب على ظهره من الدواب كالخيل والبغال والحمير ...) ، وكان قد ذكر ذلك الانكتار (أى ريتشارد) مثل هذا الحديث مرارا " " (٣٩) . وهكذا نجد فى رواية ابن شداد ما يؤكد بجلاء لا لبس فيه ، وعلى لسان صلاح الدين نفسه رغبة ريتشارد الملحة فى غزو مصر ، ومن ثم يضيف جديدا الى ما وصلنا إليه فى ضوء المصادر والوثائق اللاتينية بعامة فى هذا الشأن .

ومن الأهمية بمكان الإشارة ها هنا ، الى أن الجنوية هم أيضا قد عارضوا فكرة مهاجمة القدس آنذاك ، فى نفس الوقت الذى طالبوا فيه ريتشارد بالتريث ، وعدم الزحف نحو القاهرة ، الى حين وصول مورينو بالإمدادات الجنوية حسبما هو متفق عليه من قبل . وأسقط فى يده ، واضطر للانتظار على مضض (٤٠) . خاصة وأن الجنوية هم القوة الضاربة الأساسية فى جيشه ، وعلى علم تام بدروب الطريق الساحلى ، المؤدى الى مصر عبر شمال سيناء ، وسبق مهاجمتهم مصر عبره من قبل (عام ١١١٨ م / ٥١١ هـ) بقيادة بلدوين كما أسلفنا . هذا من جهة ، فضلا عن المامهم بطرق التجارة البرية والنيلية المتجهة من الاسكندرية ودمياط ورشيد الى القاهرة ذاتها من جهة أخرى ، مما

يعنى استحالة الزحف بدونهم ، فكان الانتظار والترقب الى حين وصول الامدادات أمرا حتميا .

وحدثت فى تلك الآونة تطورات ، كانت لها بصماتها على مسار الأحداث . وتفسير ذلك ، أن ريتشارد قد شعر بالملل والقلق لعدم وصول الامدادات فى نفس الوقت الذى كثف فيه المسلمون هجماتهم على الصليبيين ، لاستنزاف قواهم ، وحتى ينشغلون عن غزو مصر . وهنا ، ولرغبته فى تهدئة الأمور ، والتقاطا للأنفاس الى حين وصول الامدادات الجنوية المرتقبة ، فاوض ريتشارد صلاح الدين بشأن إعادة صليب الصلبوت وبيت المقدس وكافة المدن التى احتلها المسلمون بعد حطين ، فرفض صلاح الدين بشدة . وبالمثل رفض عرضا آخر بتزويج أخيه العادل من جوانا Johanna ملكة صقلية أخت ريتشارد (أخت زوجته فى رواية أخرى) على أن يحكما بيت المقدس معا ، مما أغضب الأخير ، وصمم على غزو مصر (٤١) .

وفوق هذا كله ، حدث أن تجددت المعارك بين الجنويين والبيازنة فى عكا فتدخل ريتشارد ، وطالب الأولين بإعادة حقوق الأخيرين ، فقوبل مطلبه بالرفض ، والتمرد عليه (٤٢) ، فتلبدت سماء علاقاته بالجنوية بغيوم داكنة ، واحتار فى كيفية اجبارهم على تنفيذ أوامره احتراما لهيبته . وبينما هو فى حيرته تلك ، إذ وصلته عدة رسائل من نائبه فى انجلترا تفيد اجتياح فيليب لأملاكه فى فرنسا ، وتآمره مع حنا على الحكم ، وأعلمه بقتاله إياهما ، وطالبه بالقدوم الفورى ، لتدارك الأمر قبل استفحاله (٤٣) . فجن جنون ريتشارد وساءت حالته النفسية والصحية ، ولازم الفراش فى يافا ، وطالب باستدعاء المندوب البابوى المصاحب للحملة ، وأخبره عزمه على التهادن مع صلاح الدين ، والعودة الى انجلترا لتصفية حساباته مع حنا ، وتأديب فيليب ، على أن يعود لغزو مصر ، بعد تأمين عرشه واستعادته أملاكه المغتصبة فى فرنسا ، وحيث تكون الإمدادات

المرتقبة قد وصلت من جنوة ، ولقد وافقه المندوب وبارك خطـــــاه، وتؤكد المصادر ذاتها أن ريتشارد أرسل رسالة فورية الى صلاح الديـــن يدعوه للصلح ، والرسالة رغم قصرها ، إلا أنها عبرت بصدق عن ســـوء حالة ريتشارد ، كما كشفت مدى عظم الخسائر التى ألحقها المسلمون بجيشه ونصها : " بالله عليك ، أجب سؤالى فى الصلح ، فهذا الأمـــر لابد له من آخر ، وقد هلكت بلادى وراء البحر ، وما دوام هـــــذا مصلحة لنا ولكم " (٤٤) ولقد رد صلاح الدين بالإيجاب ، إذ تم عقد صلح أو هدنة الرملة لمدة ثلاث سنوات وثمانية أشهر (أول سبتمبـــر ١١٩٢ م / ٢١ شعبان ٥٨٨ هـ) ، وبمقتضاه حصل الإفرنج على يافـا وقيسارية وعكا وطرابلس وصور وأنطاكية ، على أن تكون عسقلان خرابا . وبعدها ، وفى التاسع من اكتوبر / غرة شوال ، غادر ريتشارد عكـــا ، وكله أمل فى تحقيق آماله فى انجلترا والعودة لغزو مصر ، أمـــــله الأسمى فى ذيّاك الوقت (٤٥) . ولقد استجدت عن عودة ريتشارد عدة نتائج كانت لها آثارها ، ليست على مسار الحملة فحسب ، بل وعلى مصيرها ذاته .

وتفسير ذلك ، ودون الدخول فى تفصيلات أحداث ومخاطـــر رحلة العودة ، التى توجت بأسر ريتشارد وسجنه فى المانيا ، ثـــم افراج الإمبراطور عنه بفدية مالية كبيرة فى عام ١١٩٤ م (٤٦) . فالثابت انه عقب وصوله انجلترا ، تصالح مع أخيه حنا وعفا عنه ، وتوج من جديد ، وبعدها خرج لتأديب فيليب أغسطس ، فهزمه وأجبره على الصلح ، بعد استعادته أملاكه المغتصبة منه (٤٧) .

وفى أواخر عام ١١٩٥ م ، حدث أن وصلت انجلترا سفـــارة من لدن البابا كلستين الثالث (١١٨١ - ١١٩٨ م) ، الثابت أنهـــا كانت بشأن تذكير ريتشارد وشعبه باعداد الحملة المرتقبة ضد مصر . وآية ذلك ما ذكرته المصادر بشأن رسائل البابا هيوبرت Hubert رئيس أساقفة كانتربيورى ، الذى طالبه فيها " بدعوة الشعـــــــب

الانجليزى لحمل الصليبان ، للذبّ عن الأراضى المقدسة ، وإعلاء كلمة الرب " ، واعلامهم أنهم وأسرهم سيكونون فى حمى الكنيسة منذ وقت ابحارهم ، ووعدهم " بالخلود والغفران " لخطاياهم ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر ، كلف البابا هيوبرت نفسه بتذكير " ولده المحبّب اليه فى العقيدة ، ملك انجلترا العظيم ، والذى كان قد عقد هدنة لمدة ثلاث سنوات فى الأراضى المقدسة ، كى يعد القوات الضرورية من الفرسان والرجالة المجهزين جيدا ، والمؤهلين للقتال فى الأراضى المقدسة " ، وأكد البابا فى رسائله تلك حتمية تحرك هيوبرت ورجال الكنيسة الانجليزية فى شتى أنحاء انجلترا للدعوة للحملة المرتقبة " استعدادا لعبور البحر الى الأرض الموعودة لاستعادتها من الكفرة " (٤٨) . وهكذا ، وعلى ضوء مضمون الرسائل السابقة ، يتأكد صدق ما وصلنا اليه بشأن دور البابوية المكتشف فى الدعوة للحملة والتخطيط لها واعدادها للتنفيذ الفعلى بالاتفاق مع ريتشارد منذ البداية ، ويضيف اليه جديدا .

لقد كانت ردود فعل تحركات هيوبرت ورجال الكنيسة سريعة ، اذ حمل ريتشارد وشعبه الصليبان ، واستعدوا لعبور البحر بالفعل خاصة بعد نجاح سلطات البابوية والكنيستين الانجليزية والفرنسية فى عقد الصلح بين فيليب وريتشارد فى نهاية عام ١١٩٦ م بعد تنازل كل منهما عن أراضى الآخر المغتصبة ، ولاحت فى الأفق تباشير ابحار ريتشارد بالحملة الى عكا ، والانطلاق منها لغزو مصر . ولكن حدث أن تجددت الحروب بين البلدين ، وطال أمدها (١١٩٦م-١١٩٩م) . اذ لم تتوقف رغم محاولات البابوية المستميتة لوقفها ، وكانت محصلتها استنزاف موارد انجلترا المالية وعجز ريتشارد عن القيام بالحملة (٤٩) .

وجدير بالاشارة ها هنا ، أن ريتشارد رغم حروبه مع فرنسا تلك ، الا أن تنفيذ مشروع غزو مصر ، ظل شغله الشاغل منذ عودته من

حملته الأولى على الشام (١١٩١/١١٩٢ م) ، فالثابت أنه قبيل مغادرته الشام (١١٩٢ م) ، قد عين قريبه هنرى دى شامبانى ملكا على بيت المقدس (١١٩٢ - ١١٩٧ م) ، بعد تزويجه من الملكة ايزابيلا (٥٠) ، وان اتفاقا ما قد عقد بينهما ، تعهد فيه هنرى باعداد كافة الصليبيين القادرين على القتال فى البر والبحر ،وتجهيزهم للاسهام مع ريتشارد فى غزو مصر ، حين عودته من انجلترا فى وقت لاحق . وكان الأخير قد استعد بالفعل للعودة فى عام ١١٩٦ م، عقب صلحه مع فرنسا كما أشرنا آنفا ، منتهزا فرصة الصراعات التى سادت البيت الأيوبى على السلطان فى السنوات التى أعقبت وفاة صلاح الدين (٣ مارس ١١٩٣ م / ٢٧ صفر ٥٨٩ هـ) ، لكن تجدد حروبه مع فيليب (١١٩٦ - ١١٩٩ م) ، فضلا عن اقتتاله مع أهالى ويلز ، ناهيك عن سوء أحواله المالية ، قد حالت دون خروجه بالحملة كما أسلفنا (٥١) .

وهنا ، وضمانا لخروج الحملة ، كان تدخل البابوية لوقف القتال بين فرنسا وانجلترا أمرا حتميا . وبالفعل ، وفى أوائل عام ١١٩٩ م ، وبفضل جهود بطرس كاردينال كابوا Peter Cardinal of Capua (٥٢) ، ومبعوث البابا انوسنت الثالث (١١٩٨ - ١٢١٦ م) ، عقد الصلح بين ريتشارد وفيليب لمدة خمس سنوات (٥٣) ، وتأهب الأول للخروج بالحملة ، بعد حمله هو وشعبه الصليبان بالفعل. وهنا ، تدخلت العناية الالهية التى لم تشأ أن تعوق ابحار الحملة كما حدث فى أعقاب صلح عام ١١٩٦ م من قبل فحسب ، بل وأدتها وقائدها ريتشارد وأقبرتهما معا كذلك .

وتفاصيل ذلك ، أن ريتشارد عقب الصلح المذكور عاليه (١١٩٩ م) ، قد استعد للخروج لغزو مصر بالفعل وقبيل إبحاره بأيام ، هاجم بارونات منطقة بواكتو Poictou (٥٤) لخروجهم عليه ، فقتل رجالهم ، ودمر بيوتهم ، وانتسف مزروعاتهم ، وانسحب

عائدا من حيث أتى فى أواخر مارس ١٩٩ م . وفى الطريق دفعته نفسه لمحاصرة ومهاجمة إحدى قلاع منطقة ليموزين Limosin فى أقطانيا وشاءت ارادة الله أن يصاب بجرح من سهم مسموم أثناء القتال ، ألزمه الفراش حتى أماته وأقبره بعد أيام معدودات (٦ أبريل ١١٩٩ م) (٥٥) ، وقبر معه مشروع غزو مصر ، الذى لم يكن شاغله الأول والأخير حتى لحظة مصرعه هو وحده فحسب ، بل كان وسيظل أمل البابوية والقوى الصليبية الجنوية الأسمى بعامة من بعده ، ليس على امتداد العصور الوسطى فقط ، بل وحتى يومنا هذا كذلك .

وإذا كان ريتشارد والبابوية والجنوية قد مكروا مكرهم وشاءوا غزو مصر ، فان رب مصر وكل الأمصار ، قد رد مكرهم وكيدهم الى نحورهم ، وشاءت ارادته لهم الخزى والعار ، فما شاء الله كان وسيكون ، وما لم يشأ لم يكن ولن يكون ، حتى يرث سبحانه جل وعلا الأرض ومن عليها (٥٦) .

الهوامش

١ - عن تفصيلات تلك الحملات والمحاولات الصليبية ، ودور الجنوية فيها ، ونتائجها إرجع الى كتبى الآتية :-

- العلاقات بين جنوة والفاطميين (١٠٩٥ - ١١٧١ م / ٤٨٨- ٥٦٧ هـ) ، الاسكندرية ١٩٨١ ، ص ٢٧٤ - ٢٧٨ والحواشى، العلاقات بين جنوه والشرق الأدنى الاسلامى (١١٧١-١٢٩١م / ٥٦٧ - ٦٩٠ هـ) ، الاسكندرية ١٩٨١ ، ص ١١١ ، ١٣٤ - ١٤١ ، ٢٠٥ - ٢٣٤ ، ٢٣٦ - ٢٦٥ ، ٣٩٦ - ٤٠١ والحواشى، حملة لويس التاسع الصليبية على تونس (١٢٧٠ م / ٦٦٨- ٦٦٩ هـ) الاسكندرية ١٩٨٥ م ، ص ١٥ - ١٦ ،١٣٧-١٣٩ ، ١٤١ - ١٦٨ والحواشى ، أول محاولة صليبية لغزو مصر عام ١١١٨ م / ٥١١ هـ ، على ضوء وثيقة لاتينية ، دراسة وتحقيق الاسكندرية ١٩٨٧ م .

٢ - فى هذا الشأن ، وللمزيد عن تفصيلات أحداث سقوط القدس، ونتائجها ، انظر :

Caffaro, cf. A. G., I, PP. 145 - 148; Accinelli, M., Compendio delle storia di Genova, Genova, 1981, PP. 16 - 17; William of tyre, A of Deeds done beyond the sea, trans. & Annot by A. Babcock & A. C. Krey, N. Y., 1943, PP. 355 - 397; cf. also :

باركر (ارنست) : الحروب الصليبية ، ترجمة د. السيد الباز العرينى ، ط ٢ ، بيروت ١٩٦٧ ، ص ٣٨ ، الكنانى:

أول محاولة صليبية ، ص ٢٩ - ٣٠ ، والحاشيتين ٧ - ٨ ،
الكنانى : العلاقات بين جنوة والفاطميين ، ص ١٦٥ - ١٨٥
والحواشى .

٣ - التفصيلات انظر : الكنانى : أول محاولة صليبية لغزو مصر ، ص
٢٧ - ٥٠ والحواشى .

٤ - عن محاولات عمورى هذه ، ونتائجها انظر :

William of tyre, I, PP. 354 ff., 399 ff., 404 - 414; Folietae, V., Historiae Genvensium; Genova, MDL XXXV, XII,44 A; cf also :

الكنانى : العلاقات بين جنوة والشرق ، ص ١٣٤ - ١٤١
والحواشى .

٥ - عن جهود صلاح الدين لتوحيد مصر والشام ، عقب وفاة نور الدين انظر :

Folietae, XII, 44 A, 45 A William of tyre, II, P. 400 ff; cf. also :

الكنانى : السابق ، ص ١٣٤ - ١٤٨ والحواشى .

٦ - بشأن تفصيلات أحداث معركة حطين ، ونتائجها ، ارجع الى :

Ottobono Soriba, cf. A. G., II, P. 205; Vitry, The History of Jerusalem, trans. by A. Stwart, of P.P.T.S., London 1879, XII, P - 100 ff., Muratori, Annali

d'Italia, Milano, 1819, X, P. 539 ff., Folietae, XII; 44 A. cf. also :

ابن الاثير : الكامل ، ط) الازهرية ، القاهرة ١٣٠١ هـ ، جـ ١١ ، ص ٢٤٠ - ٢٤٣ ، ٢٤٧ - ٢٤٨ ، الأصفهانى : الفتح القسى فى الفتح القدسى ، تحقيق محمد محمود صبيح ، القاهرة ١٩٦٥ ، ص ٧٧ - ١١٥ ، ابن شداد : سيرة صلاح الدين ، تحقيق د.جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٦٤ ، ص ٧٥ - ٨١ ، الجعفرى: أنهج الطرايق والمناهج والسلوك الى معرفة تاريخ الانبياء والخلفاء والملوك ، المكتبة الاهلية بباريس رقم Arabe 1815 ، ورقة ١٧٢ أ ، الصفوى : نزهة الملك والملوك ، المتحف البريطانى بلندن ، OR. 6267 ، ورقة ٥٤ ب ، الكنانى : السابق ، ص ١٦٥ - ١٦٩ والحواشى.

٧ - للمزيد ، انظر : ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ، ص ١٥، الخطيب العمرى : الآثار الجلية فى الحوادث الأرضية ، المتحف البريطانى بلندن رقم OR. 6300 ورقة ٥٣ ب ،

Ottobono, P. 206; Muratori, X, P. 544, cf. also :

الكنانى : السابق ، ص ١٦٦ ، ١٧٠ - ١٧٢ ، ١٧٩ والحواشى .

٨ - Folietae, XII, 44 A, Accinelli, P.189; Tronci, P. cf. A. P., P isa, 1888, P. 372 ff., Canale, M. Nouva Istoria della Repubblica di Genova, Fierenze, 1858, I, P., 189.

٩ - عن أحداث تلك الحملة ، ودور الجنوية فيها ، ونتائجها ،انظر :

Ottobono, P.P. 215 - 216, vitry, op. cit., P. 107; Stella, G., Annali Genvenses, cf. A.S.G., Manuscript No. 3, C. 32R., Muratori, X, PP. 551-53; Roger of webdover, Flowers of History, trans. by Giles J. A., London 1849, II, PP. 64 - 68; Gusitiniani, Annali della Repubblica di Genova, Geneova, 1845, P. 261; Tronci, P. 382;

ابن شداد : السابق ، ص ١١٥ ، ١٣٣ - ١٣٨ ، ابن الاثير، السابق ، ج ١٢ ، ص ١٦ ، ٢٣ - ٢٤ ، الكنانى : السابق ص ١٨٠ - ١٨٢ والحواشى .

١٠- Ottobono, PP. 206 - 207; Muratori, X, PP. 544 - 545.

١١- Gusitiniani, P. 265 f; Marfroni, C., Storia Della Marina Italiana, Livorno 1899, I, P. 279.

جدير بالذكر أن هناك رواية تفيد عرض سابق للبابوية على هنرى الثانى بحكم بيت المقدس فى عام ١١٨٥ م ، لكنه رفض ، لانشغاله بأمور بلاده ، انظر :

Clanchy, M. T., England & its Rulers (1066-1272), London 1988, P. 136.

١٢- Lur., I, cols. 369, Ottobono, PP. 214

f., 218; Folietae, 45 A; Gusitiniani, P. 266 f., clanchy, op. cit., PP. 134, 136, 137; cf. also :

الكنانى : السابق ، ص ١٨٣ ـ ١٨٥ والحواشى .

١٣ـ A.S.G., Materie Politiche, No 34, C. 78 R.

١٤ـ أشارت المصادر الجنوية وحدها الى مقدم ريتشارد الى جنوة ولقائه بفيليب . ارجع الى :

Ottoboro, PP. 215, 218 - 219; Gusitiniani, PP. 266 - 267; Folietae, 45 A, Accinelli, P. 25; also :

الكنانى : السابق ، ص ١٨٥ ـ ١٨٧ ، ١٩٩ والحواشى .

١٥ـ لابد من التنويه الى أننى سبق وأشرت فى رسالتى للدكتوراه باختصار شديد الى محاولة ريتشارد غزو مصر . وأثناء زيارتى الأخيرة أرشيفات ومكتبات الفاتيكان وجنوة وبيزا ، فضلا عن المكتبة الأهلية بباريس ، والمتحف البريطانى فى الصيف الماضى (يوليو ـ أغسطس ١٩٨٩ م) حصلت بفضل اللّه على نص الوثيقة الكامل لاتفاق ريتشارد وجنوة على غزو مصر (انظر الملحق) . ناهيك عن المصادر والوثائق اللاتينية والايطالية القديمة ، المتصلة بالبحث اتصالا مباشرا ، وغيرها ، مما لا يزال فى حاجة الى الدراسة المستفيضة ، والخاصة بالعلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ، وأرجو أن أوفق بعونه تعالى الى نشرها فى المستقبل ، وعلى اللّه قصد السبيل .

انظر : الكتانى : السابق ، ص ١٨٥ - ١٨٧ والحواشى .

١٦- عن تفصيلات تلك الاحداث والاتفاقية ، ارجع الى :

Ottobono, PP. 218 - 219; Folietae, 45 A, Stella, C. 32 V, Accinelli, P. 25; Gusitiniani, P. 267; Manfronig, op. cit., I, P. 283 f., Bent, Th., Genoa : How the Republic Rose & Fell, London 1881, PP. 33 - 34; cf. also;

الكتانى : السابق ، ص ١٩٦ - ١٩٧ والحواشى .

١٧- ابن شداد : السابق ، ص ١٥٦ - ١٥٧ ، ابن الاثير الكامل، جـ ١٢ ، ص ٣٠ ،

Tronci, P. 373; Muratori, X, 562; Roger of Wendover, II, P. 94 ff.; Tyreman, ch., England & Crusaders (1095-1588), London 1988, P. 82.

١٨- Gusitinani, P. 367f, Folietae, 46 A., Devizes, Richard of, The Chronicle of the time of King Richard the First, trans. by J. T. Appleby, cf. E. H. D., London, 1975, III, P. 52; Howden, Roger of, The Annales, trans. by H.T. Riley, cf. E.H.D., London 1975, III, P. 63.

١٩- Stella, C. 32., Lur., I, col. 366;

٢٠- جدير بالذكر أن المصادر ، قد أكدت سوء أحوال انجلتـــــرا المادية ، واستنزاف ريتشارد مواردها ، من أجل اعداد الحملة واثقاله كاهل شعبه بالضرائب . فى هذا الشأن ، وللمزيـــــد عن لقاء مارينو - ريتشارد ، انظر :

Lur., I, Col. 366; Stella, C. 32 R. Folietae, 46 A, Accinelli, 25 A, Canale, I, P. 189 f., also :

٢١- أشارت المصادر الجنوية وحدها الى هذا اللقاء ، مثله مثـــــل لقاء فيليب وريتشارد فى جنوة ، وللمزيد عن ذلك اللقاء ونتائجه ، انظر :

Folietae, 54 A, 46 A., Stella, C. 32 R., Canale, op. cit., I, PP. 189 - 190, Accinelli, PP. 25, 26; cf. also:

الوثيقة الملحق المنشور بآخر البحث .

٢٢- وللاستزادة ، انظر :

Clanchy, op. cit., PP. 136 - 138 .

٢٣- فى هذا الشأن ، وللمزيد عن أهمية مصر بعامة ، انظر: مراجع حاشية رقم (١) فيما سبق .

٢٤- انظر الوثيقة المنشورة بالملحق المرفق بالبحث .

٢٥- انظر الملحق المرفق .

٢٦- Folietae, 46 A; Canale, op. cit., I,

P. 189 ff., Devizes, cf. E.H.D., III, P. 52; Howden, cf. E.H.D., III, P. 63.

٢٧- تفرد كاتب القومون الرسمى أتوبونو سكريبا (الكاتب) Scribaلتدوينه الوثائق الرسمية بالقومون ، ولقد ترأس العديد من السفارات ، وله فضل عقد اتفاق التحالف مع كونراد صاحب صور فى عام ١١٩٠ م / ٥٨٦ هـ ضد صلاح الدين . وكتاباته على قدر كبير من الاهمية ، لاطلاعه على كافة الوثائق الرسمية السرية الخاصة بالقومون ، ولقد بدأ كتابة حولياته فى عام ١١٩٧ م / ٥٩٣ هـ ، وأنهاها عام ١٢١٩ م/٦١٦ هـ ، وتوفى عام ١٢٣٣ م/٦٣٠ هـ فى هذا الشأن ، وللمزيد عنه وعن حولياته بشأن تلك الزيارة ونتائجها ، انظر :

Ottobono, cf. A. G., II, PP. 215, 218-219; cf. also A. G., IX, PP. 193 - 206; D.B.I., VIII, P. 257;

الكنانى : العلاقات بين جنوة والشرق ، حاشية رقم ٣ ص ٣٢ - ٣٣ .

٢٨ -انظر ما سبق ص ٣ - ٥ والحواشى ١٨ - ٢٥ .

٢٩- فى هذا الشأن وللمزيد عن أطماع فيليب فى أملاك انجلترا، وتآمره مع حنا ، انظر :

Stella, c 32V., Folietae, 46 A, Accinelli, P. 26; Devizes, cf. E.H.D., III, P. 54; Howden, cf. E.H.D., III,

PP. 65 - 81; Roger of Wendouer, II, PP. 122 f., 132 f.; Tyreman, op. cit., P. 84; Clanchy, op. cit., P. 138.

وعن محاولات غزو مصر السابقة تلك ونتائجها ، ارجع الى حاشية رقم (١) فيما سبق .

٣٠- Roger of Wendover, II, P. 105; Tronci, P; 386, Manfroni, op. cit., I, P. 284, cf. also :

ابن الاثير : السابق ، جـ ١٢ ، ص ٣١ ، ابن شداد : السابق، ص ١٥٧ - ١٥٨ .

٣١- Rorger of Wendover, op. cit., Loc. cit.; Tronci, op. cit., Loc. cit.; Vitry, op. cit., P. 112; cf. also :

الكنانى : العلاقات بين جنوة والشرق ، ص ١٩٧ - ١٩٩ والحواشى .

٣٢- أكدت بعض المصادر تمارض فيليب، لأسباب مجهولة ، مما يؤكد صحة ما وصلنا اليه بشأن تمارضه ، وللأسباب المشار اليها في المتن أعلاه . فى هذا الشأن وللمزيد انظر :

Accinelli, 3.26 f; Folietae, 46 A, Gusitiniani, P. 267; Roger of Wendover, II, PP. 106 ff; 114; Vitry, op. cit., P. 114; cf also :

الكنانى : السابق ، ص ١٩٩ - ٢٠٠ والحواشى .

٣٣- Stella, C. 32V; Folietae, 46 A, Devizes, cf. E.H.D., III, PP. 54, 61; Howden, cf. E.H.D., III, P. 65 ff., cf. also : The above mentioned note No. 29.

٣٤- عن أسباب المذبحة ونتائجها ، انظر :

ابن شداد : السابق ، ص ١٧٤ ، الأصفهانى : السابق ، ص ٥٢٨ ، ابن الاثير : السابق ، جـ ١٢ ، ص ٣٣ ،

Canale, op. cit., I.P. 191; Tronci, PP. 386 - 387; Folietae, 45 A.; Vitry, op. cit., P. 113; Roger of Wendover II, P. 105; Clanchy, op. cit., R. 139.

٣٥- ابن شداد : السابق ، ص ١٨١ ، الأصفهانى : السابق ، ص ٥٣١ - ٥٣٤ ، ٥٣٧ - ٥٤٠ ، ٥٤٦ - ٥٤٨ ،

Roger of Wendover, II, P. 107 f.; Vitry, of. cit., PP. 114 - 115; Canale, PP. Cit., I, P. 283 - 284.

٣٦- ابن شداد : السابق ، ص ١٨٦ - ١٨٨ ، الأصفهانى : السابق، ص ٥٥٠ - ٥٥٢ ،

Canale, op. cit., 192; Roger of Wendover, II, P. 107 ff.

٣٧- Folietae, 46 A; Stella, C. 33 R. & V.,

٣٨- ابن شداد : السابق ، ص ٢١٧ .

٣٩- ابن شداد : السابق ، ص ٢١٨ .

٤٠- أفادت نفس المصادر ، ان الامدادات قد أعدها القومون الجنوى بالفعل ، وعلى وشك الابحار بقيادة مورينو الى عكا ، تمهيدا لغزو مصر حسب الاتفاقية المبرمة من قبل . فى هذا الشأن ، وللمزيد ، انظر :

Folietae, 47 A, Stella, C. 33 V., Tronci, PP. 387 - 388;

وكذا : الملحق المنشور بالبحث .

٤١- عن تلك الأحداث ونتائجها ، ارجع الى ابن شداد : السابق ، ص ١٩٤ ، الأصفهانى : السابق ، ص ٥٥٥ - ٥٥٧ ،

Folietae, 47 A, Vitry, op. cit., P. 114;

٤٢- Tronci, P. 391 f.; Manfroni, op. cit., I, P. 284.

٤٣- Accinelli, Roger of Wendover, PP. 122-123; D.evizes, cf. E.H.D., III, PP. 54, 61, Howden, cf. E.H.D., III, PP. 65 - 68, cf. also the above mentioned note No. 29.

٤٤- عن سوء أحوال ريتشارد آنذاك ، وانعكاساتها ، انظر :

ابن شداد : السابق ، ص ٢٢٨ ، ٢٣١ ، وكذا :

Folietec, 47 A; Stella, C. 33 V., Canale, op. cit´I, PP. 188 - 193; Roger of Wendover, II, PP. 122 - 123.

٤٥- وللمزيد عن ظروف تلك الهدنة ، ارجع الى :

أبو شامة : مختصر الروختين ، المتحف البريطانى بلندن رقم ورقة ١٢٩ أ ، العمرى : الآثار الجلية ورقة ٥٤ أ ، الاصفهانى : السابق ، ص ٦٠٥ ،

Filielate, 47 A, Roger of Wendover, II, PP. 123, 143; also :

الكنانى : السابق ، ص ٢٠٣ وحاسة رقم (٢) .

٤٦- عن تفصيلات أحداث رحلة العودة ، ونتائجها ، انظر :

Roger of Wendover, II, PP. 123 - 129, 132 - 134; Canale, op. cit., I, P; 192 ff; Clanchy, op. cit., P. 138.

٤٧- Roger of Wendover, II, P. 135 ff., Canale op. cit., I, P. 193 f.

٤٨- وللمزيد عن تلك السفارة ونتائجها ، انظر :

Stella, c. 33 V. & 34 R; Roger of Wendover, II, P. 142 f.

٤٩- فى هذا الصدد ، وللمزيد عن تلك الحروب ، وأثرها فى تعويق حملة ريتشارد ، انظر :

Roger of Wendover, II, P. 144 ff. Canale, op. cit., I, PP. 194 - 197.

وعن سوء أحوال ريتشارد المالية وانعكاساتها ، انظر :

Clanchy, op. cit., PP. 136 - 13.

٥٠- Canale, op. cit., I, PP. 189 ff., Roger of Wendover, II, P. 164; Vitry, op. cit., PP. 116 - 117; Tronci, P. 386. cf. also :

ابن شداد : السابق ، ص ٢١٩ .

٥١- عن تلك الحروب ، وسوء أحوال مصر آنذاك ، ونتائجها ، انظر الاصفهانى : السابق ، ص ٦٢٨ - ٦٢٩ ، ابن شـــــداد : السابق ، ص ٢٤٦ ، ابن الاثير : السابق جـ ١٢ ، ص ٤٤ - ٧٤ ،

Roger of Wendover, II, PP. 144 ff., 164 ff., 173 ff.; Canale op. cit., I, P. 193 ff.

٥٢- احدى مدن اقليم كامبانيا Campania شمالى نابلى ، دمرتها الغارات الاسلامية عام ٨٤٠ م ، كان بها كاتدرائية قديمة ، دمرت فى الحرب العالمية الثانية ، وقد اعاد السكان بناء المدينة بعد تدميرها ، انظر :

P.E.P., P. 147.

٥٣- cf. Canale, op. cit., I, P. 196; Roger of Wendover II, PP. 176 - 177.

٥٤- اقليم فرنسى قديم ، الاسم نسبة الى قبيلة البيكتونبين Pictones الغالبية القديمة ، عاشت فى المنطقة قبيل العصر الرومانى ، وعاصمته بواتييه ، انظر :

P.E.P.S. P. 582.

٥٥- عن تلك الأحداث ، وظروف مصرع ريتشارد ، انظر :

Canale, op. cit., I, PP. 194 - 197; Roger of Wendover, II, PP. 126 ff., 177 - 179; Vitry, op. cit., P. 117, Clanchy; op. cit., P. 139.

٥٦- عقب مصرع ريتشارد ، لم يهدأ بال البابوية والقوى الصليبية الجنوية ، وخططوا لقيام الحملة وغزو مصر ، الى أن اختاروا حنادى بريين John de Brienne ملك بيت المقدس الصليبى (١٢١٠ - ١٢٢٥ م) ، ولقد قاد بالفعل الحملة المعروفة بالصليبية الخامسة (١٢١٨ - ١٢٢١ م / ٦١٥ - ٦١٨ هـ) التى باءت مثل كافة الحملات السابقة واللاحقة عليها بالفشل وعاد البواقى من أفرادها خزايا محسورين .

عن تفصيلات تلك الحملة ، وحدود الجنوية فيها ، انظر: الكنانى : العلاقات بين جنوة والشرق ، ص ٢٠٤ - ٢٢٣ والحواشى .

الملحـــق

النص الأصلى باللغة اللاتينية (١)

Ricardus Angliae rex Ianuensium opem pro expeditione Terraé Sanctae, eosdem ut quantocius praestent, enixe rogat.

Ricardus dei gratia rex anglie dux normandie aquitanie. comes andegauensis. uenerabilibus et amicis karissimis archiepiscopo, potestati. consulibus et consilio. aliisque bonis bominibus ianuensibus ad queos presens scriptum peruenerit salutem. quoniam uce super omnes alios homines ad sancte terre ierosolimitane substentacionem. Propensiorem hactenus solicitudinem habuistis. ea que ad promocionem eiusdem terre proponimus exequenda. uestre discretion censuimus intimanda. nouerit itaque dilectio uestra. quia in estate proxima ad honorem dei et confundendam gentilium superbiam. in egiptum apud

==========

(١) نقلا عن : Lur, I, Cols. 365,366.
والأصل فى أرشيف جنوة ، وبه أجزاء بالية وغير واضحة .
cf. A.S.G., Codice A, foglio 295 Verso.

babiloniam et alexandriam. si assensum prebueritis totis uiribus properabimus. unde uestre sinceritati. cum quanta possumus precum instantia suplicamus. quatenus diuine pietatis intuitu et uestre commoditatis respectu. cum quanto poteritis apparatu ad exercitum christianum sine omni dilactione ueniatis. scientes pro certo. quia omne pactum et conuentionem quam uobiscum fecimus et uos nobiscum. uobis integre tenebimus. excepto passagio. quoniam in partes surie iam aplicuimus. si uero naues et historiam integram uobiscum adduxeritis. de terra quam a sarracenis deo propicio poterimus obtinere. porcio uestra que uos debebit contingere sicut inter nos conuenit uobis plenius confereture. sin autem iuxta numerum et quantitatem nauium uestrarum et gentis uestre porcionem uestram optinebitis. de galeis autem. sciatis quia a tempore ex que ad exercitum chrisitanum ueniendi iter arripuerint medietatem expensarum uobis integre persoluemus. ceterum uirum uenerabilem et amicum christianitatis maurinum. qui consul uester fuit in partibus surie. pro negociis christianitatis ad uos transmittimus. rogantes attentius. quatinus ei tamquam amico christianitatis super his

que uobis proponet fidem habeatis. nos uero iniuersa. que idem. maurinus penes uos ex parte nostra dixerit uel facerit. temquam nos idem hoc in propria persona dixerimus uel cacerimus. firmum et ratum habebimus. uos autem quid super hoc negotio facturi sitis. et numerum galearum et gencium ques ad exercitum christianum transmittetis. per eundem. maurinum nobis sine dilactione significetis X I die octubris.

الترجمة العربية للنص

ريتشارد ملك انجلترا ، يطالب الجنوية بمساعدته فى حملته الصليبية على الأراضى المقدسة ، بأقصى سرعة ممكنة .

" بفضل الله ، من ريتشارد ملك انجلترا ، ودوق نورماندیا وأقطانيا ، ودوق انديجونسيس (١) ، الى كل السادة الأجلاء، والأصدقاء الأعزاء ، الى رئيس الأساقفة (٢) ، الى البودستا (٣) ، الى القناصل ، الى المجلس (٤) ، والى كافة المواطنين الجنوية الموقرين هم الآخرين ، والى كل من سوف تصله رسالتى هذه حياكم الله جميعا .

بادئ ذى بدء ، وبما انكم قد اخذتم على عاتقكم مسئولية تحقيق الهدف ، باسترداد الأراضى المقدسة أكثر من غيركم (٥) ، لذا نقترح عليكم كل ما يجب عمله للإعداد لتنفيذ الهدف الآنف الذكر .

إننا ، ولثقتنا الشديدة فى كياستكم وفطنتكم ، فضلا عن صداقتكم ، وكتمانكم السر ، سوف نبوح لكم بمكنونات صدرنا (٦) . فمع بداية الصيف (٧) ، وتنفيذا لأوامر الرب ، وانتهازا لفرصة الارتباك الذى ساد معسكر الكفرة والذى تمخض عن فخرهم ونشوتهم بالنصر (٨) لسوف نذهب سويا بعد موافقتكم الى مصر ، بالقرب من مدينتى القاهرة (٩) والاسكندرية .

إننا مع خالص شكرنا لكم مقدما ، نتحرق شوقا الى إخلاصكم ، وإننا لتحدونا الآمال ، كى يشملنا الرب برحمته من جهة ، مع تقديرنا لمصالحكم الخاصة من جهة أخرى . لذا ، فانه من المحتم عليكم الحضور إلينا فورا ، مصطحبين معكم كافة المعدات التى فى متناول أيديكم ، للاندراج فى صفوف الجيش الصليبى ، واضعين فى

حسبانكم أن أية اتفاقية سوف نبرمها معكم ، أو تبرمونها معنـــا ، سوف نعتبرها اتفاقية نزيهة وليست لصالح طرف على حساب الآخر، وهذا باستثناء نقل الحملة [١٠] لأننا قد أبحرنا الآن فى طريقنا الى بلاد الشام [١١] .

لا مراء فى أننا بمشيئة الرب ، وبحضوركم ومعكم البطـــس (السفن) والمعدات (الحربية) اللازمة ، سوف نسترد الأراضـــى المقدسة حتما من المسلمين ، ولسوف يطوى سجل أحداث تاريخها طيا نهائيا [١٢] ، ولسوف يسر الرب لذلك أيّما سرور . إن أنصبتكم (من المغانم والأسراب) سوف تمنح لكم بالكامل طبقا للاتفاق المبرم فيما بيننا [١٣] ، واذا لم تحصلوا على أنصبتكم تلك ، والتى ستقدر طبقا لأعداد سفنكم وحجم رجالكم ، فالمعروف أنه فور وصول سفنكم تـــلك الى الجيش الصليبى سوف تتحملون نصف التكاليف إلا إننا من جانبنا سنعوضكم بالكامل [١٤] .

هذا ، وبالنسبة للباقى لكم (من حقوق) ، فلسوف نرســل لكم قنصلكم السابق فى موانى الشام ، وصديق المسيحية الوفى موريتو [١٥] . اننا من أجل المصالح الصليبية ، نستحلفكم بشدة أن تعتبروه أوفـــى الأصدقاء لما سوف يقترحه لتلك المصالح من قول أو فعل نافع . وفيما يختص بنا ، فإن كل ما سوف يقترحه أو ينجزه من أفعال أو أعمـــال سنعتبرها سارية المفعول ، وسنصدّق عليها كما لو كنا قد قلناهـــا أو أنجزناها بأنفسنا [١٦] .

ومن جانبكم ، أبلغونا فى عكا ، وبلا تأخير عن طريق مورينو (نفسه) ، ماذا سوف تتخذونه من اجراءات تنفيذية فى هذا الشأن من جهة ، مع إبلاغنا بأعداد الشوانى والرجال الذين سوف ترسلونهـــم الى الجيش الصليبى المصاحب لنا من جهة أخرى .

حررت فى الحادى عشر من أكتوبر عام ١٩٩٠ م [١٧] .

الهوامش

١ - دوق أنجو Anjou ، وتقع هى وأقطانيا ونورماندیا فى فرنسا .

٢ - المقصود رئيس أساقفة كاتدرائية القديس لورنزو فى جنوة آنذاك .

٣ - هو مانجولدو دى تيتو شيو Manegolo ditetocio أول حاكم فرد Podesta انتخب فى جنوة ، بعد سقوط حكم القناصل عام ١١٩٠م .

٤ - أى مجلس القومون (المجلس البلدى الآن) ، وهو يعضدالبورسنا فى الحكم والإرادة .

٥ - تؤكد تلك العبارة ، ما توصلنا اليه بشأن دور الجنوية الفعال فى الحركة الصليبية ، الذى لولاه ما حقق الصليبيون أى نجاح يذكر منذ البداية . وعن أهمية هذا الدور ، ارجع الى مؤلفاتى المدونة بقائمة المراجع فى آخر البحث .

٦ - تلك المقولة تؤكد رغبة ريتشارد القوية فى غزو مصر من جهة ، كما تؤكد صحة ما وصلنا اليه بشأن مخاوفه واشتراطه السرية فى إعدادها ، واخفائها عن فيليب أغسطس ، خوفا من أطماعه فى التوسع على حساب أملاكه فى فرنسا . وهذا ما تحقق بالفعل بعد اكتشاف فيليب سر الاتفاق الخاص بالحملة كما أسلفنا على امتداد البحث .

٧ - أى صيف ١١٩١ م / ٥٨٧ هـ .

٨ - المعنى المقصود ، انتهاز فرصة انشغال صلاح الدين وجيوشه بالاحتفال بالنصر الذى حققوه فى حطين ، وما تلاه من فتوحات توجت بتحرير بيت المقدس وغيرها من مدن الشام ، وذلك بالقيام بالحملة وغزو مصر ، مفتاح الأراضى المقدسة ، مما يعنى

طى سجلات أحداث تاريخ الصراع فى الأراضى المقدسة الى الأبد على حد ما ورد فى الوثيقة على لسان ريتشارد .

٩ - فى الأصل " بالقرب من مدينة بابلونيا Apud babiloniam " وتعنى القاهرة . انظر : دائرة المعارف الاسلامية ، الترجمة العربية (كتاب الشعب) ، المجلد الخامس ، القاهرة ١٩٧١ ، ص ٤٥٣ - ٤٥٤ ،
E.I., I, P. 844 ; G., IV, P. 1051.
هذا ، ولعل ذكر المدينتين فى النص ، يعنى عزم ريتشارد والجنوية على غزو مصر ، عبر الاسكندرية ولربما عبر رشيد القريبة منها ، أو عبر دمياط أو بحيرة (المنزلة) عبر تنيس ، ثم الانطلاق بحذاء النيل وعبره بالجيش والاسطول نحو القاهرة . وان كان من الأرجح اتخاذهم طريق حملة بلدوين مع الجنوية (١١١٨ م / ٥١١ هـ) عبر الساحل الشمالى لسيناء ، وعبر تنيس بالسفن والزحف نحو القاهرة ، مع التلويح لهم بمنحهم ثلث كل من المدينتين .

١٠- المراد هنا الحملة التى أمد الجنوية ريتشارد بها لغزو الشام ، طبقا لاتفاقية جنوة ولقد اتفق فيها على تحمل التكاليف مناصفة ، حسبما ذكرنا من قبل . انظر ص ٣ وحاشية رقم ١٦ .

١١- تؤكد العبارة اتفاق ريتشارد - مورينو فى مسينا على غزو مصر ، كما أوضحنا من قبل من جانب ، وما تلاه من عودة الأخير الى جنوة لعرض مشروع الاتفاق - الذى تم - على القومون ، واعداد الحملة المطلوبة ، على أن يعود بها الى عكا ، للاندراج مع قوات ريتشارد ، والزحف نحو مصر هدف ريتشارد الاسمى ، كما أوضحنا على امتداد البحث .

١٢- عبارة هامة وخطيرة الفحوى والمضمون ، وتؤكد بجلاء صحة ما

ذكرناه بشأن إيمان البابوية والجنوية وكافة القوى الصليبية الراسخ ، بأن الهيمنة على الأراضى المقدسة بعامة وكتلكة الأمة الاسلامية بخاصة ، أو بالأحرى طى سجل الحرب فى الاراضى المقدسة ، لن يتأتى الا بتدمير مصر ، مركز ثقلها السياسى والبشرى والاقتصادى ، وخط دفاعها الأول والأخير .

عن تلك الأطماع السابقة واللاحقة على موضوع البحث ، انظر مؤلفاتى المدونة بقائمة المراجع فى آخر البحث .

١٣- المقصود بالاتفاق المعقود فيما بين الجنوية وريتشارد ، ولقد ورد فى وثيقة (رسالة) خاصة سابقة على وثيقتنا هذه . ولقد التزم مورينو نيابة عن القومون بتحمل نصف تكاليف حملة الشام ، تقديرا لظروف ريتشارد المالية السيئة كما ذكرنا فى البحث .
انظر : Lur., col. 366, cf. also :
الكنانى : العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى ، الملحق الأول ،ص ٤١١ - ٤١٣ والحواشى .

١٤- رغم الاتفاق السابق بشأن تحمل الجانبين التكاليف مناصفة ، الا أن ريتشارد ها هنا ، وتشجيعا منه لاعداد الجملة بسرعة ، ولما عرفه عنهم من تحكم الأفكار والمصالح المادية فى تصرفاتهم وسلوكياتهم ، أعلن تحمله كافة تكاليف حملة مصر هذه نيابة عن الجنوية ، رغم سوء أحواله المادية ناسخا النص الوارد فى الاتفاق السابق ، ولا شك أن مرد هذا السلوك ، إيمانه القوى بحتمية سيطرته على مصر واستغلال ثرواتها ، التى لابد أنها لن تغطى نفقات الحملة والكثير من مثيلاتها فحسب ، بل وسيكون لديه سيوله نقدية ذهبية لا حصر لها ، كما أسلفنا .
انظر ما سبق ص ٤ - ٥ وحاشية رقم ٣٣ - ٣٤ .

١٥- هو مورينو بن رودوانو Morino Figlio Rodoano أحد

مشاهير القناصل الجنوية الثقات فى تلك الآونة .

cf. Ottobono, II, P. 216 f.

١٦- سابقة فريدة من نوعها ، فعلى غير العادة المتبعة ، لم يكلف ريتشارد أحد رجاله الثقات بحمل رسالته المتضمنة بنود اتفاق غزو مصر الى القومون ، بل كلف مورينو الجنوى نفسه بحملها ، والتصرف حسبما يراه فى صالح الحملة ، من حيث التعديل أو الاضافة فى الاتفاق نيابة عنه . مما يؤكد ما وصلنا اليه بشأن رغبته فى كتم سر الاتفاق ومشروع الحملة على الكافة كما أسلفنا من جهة ، ومن جهة أخرى ، تتضح لنا مدى خطورة وفعالية دور الجنوية الصليبى ، وحيث لم يكن من الممكن اعداد أو تجهيز أو قيام أية حملة صليبية بدونهم .

١٧- الموافق الخميس العاشر من رمضان ٥٨٦ هـ .

قائمة المصادر والمراجع

أولا : المختصرات الواردة فى البحث

A.G. = Annali Genovesi di caffaro e dei suoi centenuatori.

A.P. = Annali pisani.

A.S.G. = Archivio di stato di Genova.

D.B.I. = Dizionario Biografico degli Italiani.

D.U. = Dictionaire Universel d'Histoire et de Geographie.

E.H.D. = English Historical Documents.

E.I. = Enciclopedia of Islam.

G.E. = La Grande Encyclopédic.

P.E.P. = The Penguin Encyclopedia of places.

P.P.T.S. = Palestine Pilgrims Text Society.

ثانيا : المصادر والوثائق الأصلية الأوربية

Accinelli, Fr. M.,

Compendio delle storie di Genove. della sua Fondazione Sino all'Anno 1776, 4 parts in one vol., Genova 1851.

Caffaro de caschifelone,

Liberatione Civitatum Orientis Liber, cf. R.H.C.-H. Occ., t, V, PP. 47 - 73; Idém, ef. A.G., I, PP. 129-63.

Canale, M.J.,

Nuova Istoria della Repubblica di Genova del suo commercio della sua Letteratura dalle Origini all'Anno 1797, 4 Vols., Fierenze, 1858 - 60.

Devizes, Richard Of,

The Chronicle of the time of king Richard the first, trans. by J.T. Appleby, of. E.H.D., Vol. 3 (1189 - 1327), London, 1975, PP. 51 - 63.

Folietae, V.,

Historiae Genuensium, Librie XII, Genova 1585.

Gusitinisni, A.,

Annali della Repubblica di Genova Illustrati con note del prof. Cov. G.R. Spotorno, 3 rd. ed, 2 Vols; Genova, 1854.

Howden, Roger of,

The Annals of Roger of Howden, trans. by H.T. Riley, cf. E.H.D., Vol. III, (1189 - 1327) London, 1975, PP. 63 - 81.

Muratori, L.A.,

Annali d'Italia, dal principio dell' Era Volgare sino all' Anno MDCCXLIX, 16 Vols., Milano, 1818-1821.

Ottobon Scriba,

Annali di Ottobono Scriba (1174-1198), of. A.G., Vol. II, PP. 183-260.

Ricardus Angliae rex Ianuensium opem pro expeditione Terrae Sanctac requirens, eosdem ut quantocuis praestant,

enixe rogat, of. A.S.G., codice A, foglio 295 Verso; cf. slao : Lur., Vol. I, clos. 365, 366.

Roger of Wendover,

Flowers of History, trans. from The latin by Giles J., A., 2 Vols., London, 1849.

Stella, G.,

Annali Genuenses, of. A.S.G., Manuscript No. 3.

Vitry, Jacque de,

The History of Jerusalem, trans. by Aubrey Stwart, cf. P.P.T.S., Vol. XI, London, 1879.

William of Tyre,

A History of Deeds done beyond the sea, trans & Annot. by Emely A. Twater & A.C. Krey, 2 Vols., N.Y., 1943.

ثالثا : المخطوطات والمصادر العربية

ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م) أبو الحسن على بن أبى الكرم الملقب عز الدين :

الكامل فى التاريخ ، ١٢ جـ ، فى ٦ مجلدات ، ط. الأزهرية ، القاهرة ، ١٣٠١ هـ .

ابن شداد (ت ٦٣٢ هـ / ١٢٣٤ م) أبو المحاسن يوسف بن رافع من تميم :

النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية المعروف بسيرة صلاح الدين ، تحقيق د. جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٩٦٤ م .

أبو شامة (ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٧ م) شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المقدسى الشافعى :

" عيون الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية المعروف باسم (مختصر الروضتين) ، المتحف البريطانى بلندن، مخطوط رقم OR. 1537 .

الأصفهانى (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م) أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد القرشى الاصفهانى :

الفتح القسى فى الفتح القدسى ، تحقيق محمد محمود صبح ، القاهرة ، ١٩٦٥ م .

الجعفرى (عاش فى الثامن هـ / الرابع عشر م) محمد بن محمد بن الحسن بن عبد الله الشافعى :

أنهج الطرايق والمناهج والسلوك الى تواريخ الانبياء والخلفاء والملوك ، المكتبة الاهلية بباريس ، مخطوط رقم

. Arabe 1815

الخطيب العمرى (عاش فى القرن ١٢ هـ / ١٧ ـ ١٨ م) ياسين بن خير اللّه الحنفى الموصلى :

الآثار الجلية فى الحوادث الأرضية ، المتحف البريطانى بلندن ، مخطوط رقم OR. 6300 .

الصفدى (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣ م) صلاح الدين أبو الصفا خليل بن عز الدين أيبك :

نزهة الملك والملوك ، المتحف البريطانى بلندن ، مخطوط رقم OR. 6267 .

رابعا : المراجع الأوربية الثانوية

Bent, Th.,

Genoa; How the Republic & Fell, London, 1881.

Clanchy, M.T.,

England & Its Rulers (1066-1272), London, 1988.

Manfroi, C.,

Storia della Marina Italiana della Invasione Barbariche al Trattato di Minfeo (400 - 1261), Vol. I,

Livorno, 1899.

Tyreman, Ch.,

England & The Crusades (1095-1588), London, 1988.

خامسا : المراجع العربية الثانوية والمعربة

باركر (أرنست) :

الحروب الصليبية ، ترجمة د. السيد الباز العرينى ، ط ٢ ، بيروت ، ١٩٦٧ .

مصطفى حسن محمد الكنانى (دكتور) :

العلاقات بين جنوة والفاطميين فى الشرق الأدنى (١٠٩٥- ١١٧١ م / ٤٨٨ - ٥٦٧ هـ) الاسكندرية ، ١٩٨١ م .

العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى الإسلامى (١١٧١ - ١٢٩١ م / ٥٦٧ - ٦٩٠ هـ) ، الاسكندرية ، ١٩٨١ م .

حملة لويس التاسع الصليبية على تونس (١٢٧٠ م / ٦٦٨- ٦٦٩ هـ) ، الاسكندرية ، ١٩٨٥ م .

أول محاولة صليبية لغزو مصر عام ١١١٨ م / ٥١١ هـ على ضوء وثيقة لاتينية ، دراسة وتحقيق ، الاسكندرية ، ١٩٨٧ م .

وثيقة عهد لدوين ملك بيت المقدس الصليبى للجنويـــــة ، دراسة وتحقيق ، مجلة كلية الآداب بسوهاج ، المجلد الخامس ، ١٩٨٦ ، ص ٢١٥ - ٢٣٦ .

محمد مختار باشا :

كتاب التوفيقات الالهامية فى مقارنة التواريخ الهجريـــــة بالسنين الأفرنكية والقبطية ، القاهرة (بولاق) ، ١٣١١ هـ .

سادسا : دوائر المعارف والمعاجم

Dictionnaire Universal d'Histoire et de Georaphie, aris, 1854.

Dizionario Biografico degle Italiani, 20 Cols., Rome, 1960 - 1977.

Encyclopedia (The) of Islam, 5 Vols., London, 1913 - 1965.

La Grande Encyclopedie, 31 Vols., Paris, (S.D.).

The Penguin Encyclopedia of Places, ed. W.G. Moore, London, 1971.

دائرة المعارف الاسلامية - الترجمة العربية - المجلد الخامس (كتاب الشعب) ، القاهرة ، ١٩٧١ م .